رواية هذا العدد

على نصرها حبست براقش

دقت الساعة التاسعة مساء ليلة الرفع وكان المركيز اندريا دي مورجيز الشاب في قاعة استقبال قصره الشامخ في البندقية عروس البحار وزينة الأمصار وكان المركيز البقية الباقية من اسرة دي مورجيز النبيلة وهو في عنفوان شبابه لأن عمره لم يتجاوز العشرين . وقد ورث عن اجداده ثروة طائلة تعد بالملايين ولكنه لم يضع يده عليها لأنه لم يكن بلغ سن الرشد اي السنة الحادية والعشرين لأنه هكذا قضت وصية والده المودعة عند مسجل العقود

كان جالساً وعلامات القلق والضجر بادية على محياه لطول الانتظار وبين فترة واخرى يلقي نظرة على الساعة المعلقة على جدار الغرفة ولما بلغت الساعة التاسعة سمع طرقا خفيفاً على باب الغرفة فأذن للطارق بالدخول وما كان سوى خادمه الخاص الشيخ ماريو الذي اعلنه بقدوم البارونة اسبرنثرا خطيبته فأمره بأدخالها . . . وكانت البارونة المذكورة من سلالة نبلاء البندقية واسعة الثروة في الثامنة عشرة من عمرها وكانت آية باهرة بالجمال الفتان ذات طرف كحيل وقد اسيل وثغر كحبة الفستق اذا ابتسمت كشفت عن اسنان ناصعة البياض كالدر المنضد واذا تكلمت سحرت وفتنت برقة الفاظها وعذوبة عباراتها وكانت والمركيز متواعدين على المقابلة في قصره الساعة الثامنة ليذهبا معاً الى قصر الدوق حاكم المدينة الذي أقام ليلة راقصة لأمراء ونبلاء المدينة احتفالا بليلة الرفع كالعادات المتبعة في ذلك العصر . دخلت البارونة على خطيبها بلباس السهرة واعتذرت له كثيراً على ابطائها في الحضور في الاجل المضروب غير انه ما وقع نظره عليها حتى انتفض كعصفور بلله القطر وعرته هزة من السرور والانشراح وقابلها بثغر باسم ووجه هاش لانه كان كلفاً بها لحد العبادة وكانت هي بدورها تحبه حباً ملأ جوارحها فجاسا برهة يتجاذبان الحديث

ويمشيا كيان الهوى ثم ركبا مركبة فاخرة وقصدا قصر الدوق حيث قضيا السهرة

* * *

ان أرباب الثروة في كل مكان وزمان مطمح أنظار اللصوص والعصابات التي اعتادت السلب والنهب بلا رحمة ولا شفقة ولا سيما في البندقية يثبت ذلك تاريخها المفعم بالغرائب والمدهشات من أخبار عصابات اللصوص المنظمة تنظيما اداريا بينهم الرئيس والمرءوس والجواسيس والأدهى والانكى أنهم كانوا يتسترون تحت أثواب النظمة والشرف يرتادون محافل ومجالس العظماء حيث يجمعون المعلومات الوافية الدقيقة وقد تمكنت أحدى هذه العصابات من جمع معلومات هامة عن المركيز والبارونة وأعدت لذلك عدتها وكانت هذه العصابة الشريرة تحت زعامة طاغية البندقية « ماتيو » الذي الحق عدة من أتباعه بخدمة المركيز ، وكان بين رجاله شاب يدعى فيانيمو يشبه المركيز تمام الشبه لا يفرق عنه بشيء من ملامحه وحركاته وسكناته وعمره أيضاً

ففي منتصف أحدى الليالي بينما كان المركيز عائداً من زيارة خطيبته البارونة اسبرنزا ولما أراد ركوب مركبته وكان سائقها من رجال العصابة هجم عليه شخص وبادره بضربة هراوة على رأسه أفقدته الصواب فسقط على الأرض وهو لا يعي على شيء ثم وضع الضارب كمامة على فمه وحمله الى داخل المركبة وتوجه لمكان معروف لديه ولما أفاق المركيز وجد نفسه على ظهر باخرة متجهة الى الديار الاميركية وكان جميع بحارتها وملاحيها من رجال تلك العصابة الذين أخذوا يسومونه صنوف الذل والهوان وأرغموه على العمل كأحد صغار البحارة فكان يشتغل سحابة نهاره وليث على ذلك مدة من الزمان يقوم بأشق الاعمال وهو رهيب النعمة والرفاه ولكنه أظهر جلداً وشجاعة ولا ريب فالرجل يعرف في الشدائد وطالما قامت بينه وبين أفراد هذه العصابة مشاجرات عنيفة برهن فيها على قوة ساعده

وفي ذات ليلة هاج البحر وماج وتلاعبت الرياح العاصفة بالسفينة حتى كادت تغرقها وكانوا قد حاذوا جزيرة قفراء غير آهلة بالسكان فأمر الربان بالقاء المرساة والمبيت بجوار الجزيرة حتى تهدأ الرياح ويكونوا بمأمن من الخطر

وكان هؤلاء القرصان الاشرار من مدمني الخمر فلما وقفت السفينة اجتمعوا كلهم في غرفة كبيرة في جوف الباخرة وأخذوا يحتسون الكؤوس بدون حساب فانتهز المركيز هذه الفرصة ولما علم ان الخمرة لعبت في رؤوسهم وشعورهم انسل الى مؤخر السفينة وأنزل أحد قوارب النجاة الى البحر ثم ركبه وأخذ يجذف بكل ما أوتيه من قوة وابث كذلك حتى مطلع الفجر وكان قد ابتعد كثيراً عن السفينة والبحارة الذين لم يعودوا الى وعيهم الا عند الساعة العاشرة من اليوم التالي وقد بحثوا عنه فلم يقفوا له على أثر فنزل بعضهم الى الجزيرة وطافوا أنحاءها غير ان ابحاثهم ذهبت سدى وعادوا بخفي حنين

* * *

واننا نعود بالقارىء الى قصر المركيز في البندقية فانه في نفس الليلة التي خطفه بها اللصوص دخل اللص فياتيمو شبيه المركيز القصر كأنه صاحبه الحقيقي ودعا الخادم الشيخ ماريو ليساعده على خلع ثيابه وسأله عما اذا كان حضر أحد أثناء غيابه فأجابه بالسلب دون أن يلحظ شيئاً وانطلت عليه الحيلة وتصور أيها القارىء الكريم شدة الشبه بين المركيز الحقيقي والمركيز المزيف حتى ان الخادم الذي قضى أعواما عديدة في خدمة سيده خفي عليه أمر هذا اللص الماكر . ثم ان فياتيمو مكث في القصر اسبوعاً كاملا اطلع في خلاله على اوراق المركيز ورسائله الغرامية المتبادلة بينه وبين خطيبته والخلاصة انه وقف على اسرار القصر كلها ولم تعد تخفى عليه خافية واستطاع درس عبارات الحب والهيام التي كان يوجهها الى خطيبته ولما تم له كل ما اراد دفعته الجرأة الى زيارتها في منزلها ولما رآته هذه ألقت نفسها بين ذراعيه وجعلت تسأله عن سبب احتجابه عنها كل هذه المدة فعانقها بشغف وطبع على ثغرها قبلة بل قبلات ثم جعل بعد ذلك يقضي الوقت معها في الاستراحة والمراقص وكانت هي بدورها تزوره في القصر واعتادت من قبل مداعبة كلب المركيز ولكنه منذ اختفاء المركيز الحقيقي هجر الكلب غرفة سيده لرؤيته بها رجلا غريبا فسألته البارونة عن الكلب فأجابها انه ملازم الشيخ ماريو فلم تهتم كثيرا للأمر

وهكذا غدا هذا الشرير المحتال — الذي مثل دور مكره أحسن تمثيل —

ينتظر ذلك اليوم الذي يستولي به على ثروة المركيز وعلى خطيبته الفتاة البارونة وثروتها أيضاً وقد أصبح عاشقاً لها وصحت عزيمته على التزوج منها ثم يترك البلاد الى سواها من البلاد النائية حتى يكون أميناً على نفسه من الحكومة ومن عقاب زعيم العصابة الذي كانت حكومة البندقية تخشى بأسه

***

عاد المركيز أندريا دي مورجيز الحقيقي بعد ثلاثة أسابيع من اختفائه الى بلاد فينيسيا بثياب رثة ووجه شاحب مما قاساه من العذاب والجوع والاعواز وقد نجا بأعجوبة لأنه بينما كان يجذف في زورقه وقد أعياه التعب وخارت قواه لمحته سفينة انكليزية كانت عائدة من اميركا الى ايطاليا فالتقطته وهو على آخر رمق وبعد أن تناول شيئاً من الطعام وكأساً من الويسكي وعادت اليه قواه روى لربان الباخرة روايته وطلب اليه أن يوصله الى فينيسيا وان يقبله بين ملاحي السفينة يعمل فيها كواحد منهم فعطف عليه الربان ورق لحالته وأوصله الى مكان قصده وما وصل حتى ذهب توا الى قصره ولكنه قوبل فيه بالطرد والازدراء من الخدم الجدد الذين حلوا محل الخدم السابقين بعد ما رويناه للقارىء من هذه الحوادث . فمكث يراقب القصر وما يجري فيه عن كثب فرأى غريمه ذات يوم خارجاً من باب القصر وركب عربة وسار فجرى وراءه اذ رأى أنه يقصد منزل البارونة ثم شاهد ان المركبة وقفت على باب قصرها فلبث هناك ساعة رأى بعدها خصمه يودعها أمام القصر فتأججت في فؤاده نار الغيرة وحدثته نفسه أن يهجم على خصمه ويمزقه تمزيقاً ولكنه ضبط نفسه مفضلا استعمال الروية وقصد من ساعته منزل صديق له من أيام الدراسة يدعى أنجلو وأخبره بكل ما وقع له وما وصل اليه فتأثر صديقه ونقده في الحال مبلغاً من المال ابتاع منه بذلة ثم ذهب مع صديقه الى مسجل العقود وأخبراه بالحادثة فلم يصدق في بادىء الامر الا أنه اقتنع أخيراً بما سمعه من الادلة القاطعة ثم رفع مسألته للقضاء وقد شاع هذا الحادث في مدينة البندقية غير أن القضاء ظن أنه ملفق مدع وانه يفتري على شخصية المركيز وحدد واجلسة للفصل في هذا الادعاء

وفي اليوم المحدد حضر المركيزان المزيف والحقيقي ولما وقع نظر اللص «فياتيمو»

للتقلد على دي مورجيز ضبط نفسه ولم يظهر عليه أقل اشارة تدل على تزييفه وخداعه

ولما فتحت الجلسة قال القاضي مخاطباً فياتيمو : ما قولك أيها المركيز بادعاء هذا الرجل (مشيراً الى دي مورجيز) الذي يقول أنه هو المركيز اندريا دي مورجيز صاحب الحق بثروة أجداده. فتجاهل فياتيمو الأمر وقال أنه مدع ملفق واني استغرب منه مثل هذه الجرأة والاقدام على ركوب هذا المركب الخشن والادعاء الباطل

فقال دي مورجيز : ارجو سيدي القاضي ان يستدعي خطيبتي البارونة اسبرنزا فهي وحدها تميط اللثام عن هذا التشابه العجيب . فأجابه القاضي اني احتطت لذلك من قبل وها هي في الغرفة المجاورة وامر باحضارها ولما دخلت غرفة القضاء وقفت بين الشبيهين مبهوتة ذاهلة وجعلت تنظر اليهما باندهاش وذهول . وبعد فترة سألها القاضي وطلب اليها أن ترشدهم الى المركيز الحقيقي فاضطربت وقالت: حقاً اني لا أستطيع التمييز بين الاثنين ولما سمع القاضي جوابها أصدر أمره بالقاء القبض على دي مورجيز وزجه في السجن ريثما يتبين امره وعدته المحكمة مزوراً ملفقاً فصاح المسكين وقال : هذا حكم مخالف للعدالة والحقيقة واني أطلب من المحكمة أن تستدعي في الحال خادمي الأمين الشيخ ماريو فأمر القاضي باحضاره وما هي الا برهة يسيرة حتى جاء وكان قد علم بالأمر وكان كلب المركيز ملازماً له كما سبق القول وأراد الحاجب أن يمنع الكلب من دخول غرفة الجلسة ولكن هذا الحيوان الأمين شم رائحة سيده الحقيقي داخل الغرفة فقفز ودخلها وكان ماريو الخادم واقفاً أمام القاضي . أما الكلب فانه هجم على صاحبه دي مورجيز ووقف على رجليه ووضع رجليه الاماميتين على صدره وجعل يداعبه برأسه ثم ينزل ويدور حوله أو يتمرغ أمامه على الأرض مظهراً السرور والارتياح

فاندهش الجمهور من هذا المشهد المؤثر وظهرت الحقيقة لرجال المحكمة بثوبها الناصع بواسطة هذا الكلب الأمين الذي عرف سيده الذي خفي أمره على الجميع حتى على خطيبته وخادمه الذي قضى في خدمته السنين الطوال ولو ان المركيز أقام عشرين محامياً لما أثبتوا شخصيته كما أثبتها هذا الحيوان

ثم أخذ المركيز دي مورجيز يداعب كلبه ويقبل رأسه مستأنساً به وشاكراً له

حسن صنيعه واخلاصه . واذ ذاك أمر القاضي القس فياتيمو أن يداعب الكلب بدوره فأيقن هذا الماكر بالفضيحة ودنا من الكلب مضطراً وما تقدم نحوه خطوة حتى هجم الكلب عليه ومزق ثيابه وكاد يفتك به فاوقف دي مورجيز كلبه ودعاه اليه فاتضح بذلك الأمر وكان لشهادة الكلب القول الفصل في هذه القضية

ثم أمر القاضي بالقبض على فياتيمو واودع في السجن وعاد المركيز الى قصره بالحفاوة والاكرام وظهره من الخدم اللصوص واعاد ماريو الى خدمته كما كان وبعد بضعة شهور بلغ المركيز الحادية والعشرين ووضع يده على ثروته الطائلة ثم احتفل بزواجه بالبارونة وعاشا تحت ظلال السعادة والرفاه

نجيب شاهرته بقوة دفاع السودان بالخرطوم

ذنب الطاوس

الكتاب ثلاثة : كاتب يحمل الطبل والزمر ، وكاتب يحمل الكتاب والمصباح ، وكاتب لايحمل غير فكره وخياله . قلم الأول من الذهب ، وقلم الثاني من القصب ، وقلم الثالث من ريش القنفذ . الاول يطرب قراءه ويضحكهم ، والثاني يعلمهم ، والثالث يجيئهم بشيء شبيه بذنب الطاوس ، يبهر اذا ما انتفخ ، ولا يتعدى جماله ما ظهر وامتزج من ألوانه .

عم الكاتب الأول أن يستثمر الحياة ، وهم الكاتب الثاني أن يصلحها ، اما الثالث فلا يهمه من الكائنات كلها غير نفسه فهو على الدوام يغازلها ، وينظم لها القصائد ، ويطارحها الاحاديث ، ويمشي وراءها في الخلات فخوراً . ويقف بها أمام المرآة بل بين مرآتين اثنتين ليراها من الوجهين فيتأوه تأوهتين . هو الطاوس الحزين

لواء الكاتب الأول لواء الاكثرية في حملة الاقلام ، ولواء الثاني لواء الاقلية اما الثالث فلواؤه من قصائده . الاول اذا باشر الكتابة يقول : أنتم رعاكم الله : والثاني يقول : نحن والحمد لله . والثالث يقول : أما أنا فما شاء الله . في الاول قشور الخير . وفي الثاني بعض لبه . وفي الثالث خياله الشعري أي ذنب الطاوس

(منيرفا) امين الريحاني